**المنهج البنيوي (تابع)**

**دو سوسير والبنيوية**

إن الدراسات التي قدّمها دو سوسير ما بين 1906 و 1911 من أهم الدراسات في اللّسانيات البنيوية، فقد كان أول من دعا إلى درا سة اللغة في ذاتها و من أجل ذاتها دراسة وصفية آنية للبحث في نظامها و قوانينها دون الاهتمام بجوانبها التاريخية التطورية الزمانية.

فاللغة ليست مجرّد آلة مادّية صوتية بل إنّها نظام لغوي مشترك ؾ بين الجماعات اللغوية التي تنتمي لرقع جغرافية متشابهة قصد تحقيق ؽ عملية التواصل ؿ.

ومن أهم ما أدرج ضمن التنظير السوسيري في ظل الد راسات اللسانية، نذكر نظرية

الثنائيات حيث أن كل التحليلات اللغوية السوسيرية كانت تحليلات ثنائية الفروع منها اللغة

والكلام ، الآنية و الزمانية، المحور الاستبدالي والمحور التركيبي، الدال و المدلول ؿ، القيمة

والنظام و غدت الثنائية اللغوية أساسا لسانيا في السيميائيات حيث نجد "لويس يلمسليف ؼ"يستخدم مصطلحات مقابلة، فمصطلح "التعبير" عوض الدال" ومصطلح "المحتوى"عوض "المدلول ممثّلا العلاقة الجدلية بينمها بعلاقة المادّة بالشّكل .

فعلى غرار دو سوسير الذي يطلق على الرابط الجامع بين الدال والمدلول بالعلاقة الاعتباطية حيث لا تتقيّد هذه الأخيرة كمبدأ لساني فحسب وانّما صارت أيضا مبدأ لسانيا منظّما للأنساق ؽ السيميائية ، وبما أن اللسان قائم على الاعتباطية في جوهره أصبح نموذج موضوع السيمياء، ومن أهم المبادئ التي ساهمت في نشأة الاتجاه البنيوي نجد:

1- ميّز دو سوسير" بين الدراسة الوصفية للغة في بعدها الداخلي و بين الدراسة التاريخية ذلكؾ أن الوصف اللغوي و تعميم المعطيات اللغوية لا يصبح ممكنا إلاّ حين نفصل بين الحالة الآنية للغة وبين نشأة اللغة و تطورها وتحولاتها،و يتألفؼ النظام اللغوي من عناصر داخلية و علاقات خارجية وهذه العناصر الداخلية لها الصدارة عند التحليل اللغوي إذ تمثل نظام اللغة الداخلي)البنية(أمّا العلاقات الخارجية فتتمثل في دراسة العلاقات القائمة بين البنية اللغوية وما يؤثر فيها مثل علم الاجتماع والتاريخ والحضارة وعلم النفس وغيرها.

2 - اللغة في نظره نظام من العلامات:اللغة أصوات يعّبر بها كل قوم عن أغراضهم قصد التبليغ والتخاطب ، و هي عبارة صوتية)الدال اؿ( تتّحد مع تصور ذهني)المدلول ؿ( ليندرج الدال ؿ تحت النظام المادي للغة كونه عبارة عن أصوات إنسانية إرادية بينما يندرج المدلول ؿ تحت النظام الذهني وتكون العلاقة بين الدال و المدلول علاقة اعتباطية تتحقق من خلال ؿ هذين العنصرين.ػ

3- فرق "دو سوسير بين اللغة والكلام ذلك أن اللغة عمل جماعي مستقل عن الفرد متواجد في ذهن المتكلم بكيفية اعتباطية لا شعورية في حين أن الكلام هو ذلك الأداء الفردي للغة والذي يتحقق ؽ من خلال ؿ هذا النظام . ػ

فاللغة هي مجموع الأصوات كالدلالات المختزنة في الذاكرة أمّا الكلام فهو الممارسة الفردية الذاتية لهذه اللغة في ظروف مادية، أي أنه بمثابة"طريقة تجسيد المتكلم لهذا النظام اللغوي وبالتالي، فإن اللسان نظام ترتبط فيه جميع أجزائها بعضها ببعض ذلك أنّ الوحدات اللسانية لا تكتسب قيمتها إلاّ أذا اكتسبت لفظة مجموعة الصفات تقابل بها كل واحدة من الألفاظ الأخرى و حين ميّز دو سوسير" بين اللغة والكلام، ركّز اهتمامه على اللسان معترفا أن اللسان شكل ؿ لا مادّة ولا بدّ من ضرورة تصور اللسان و وصفه على أنّه نظام من العناصر التي ترتبط فيما بينها على المستويات اللغوية التالية: الصوتية والنحوية والدلالية و من هنا يتضح أن الفكر البنيوي يرى اللغة بنية منظّمة .

4 - الدراسة اللغوية أو التحليل اللغوي هو النظر في علاقة كل عنصر من العناصر اللغوية الداخلية بغيره من العناصر الأخرى التي تكون النظام اللغوي لأن أي عنصر لا قيمة له دون علاقته بالعناصر الأخرى لذلك فإن النظام اللغوي لأية لغة يقوم على التشابه من ناحية وعلى الاختلاف من ناحية أخرى.

ولكي يوضح "دو سوسير" فكرة العناصر الداخلية وعلاقتها ببعضيا من ناحية ثّم علاقتها الخارجية من ناحية أخرى، يضرب لنا مثل لعبة الشطرنج فهذه اللعبة قد انتقلت من الشرق إلى الغرب وهذا أمر خارجي لا يمس نظام اللعبة الداخلي و لا قواعدها ولكن إذا استبدلنا مثلا القطع الخشبية بقطع من العاج أو الذهب فإن هذا التغيير لا يمسّ النظام الداخلي للعبة في شيء ولكن إذا أنقصنا أو زدنا في عدد القطع أو لعبت هذه اللعبة بطريقة تخالف ؼ القوانين والقواعد التي وضعت عليها فإن هذا التغيير سيخل حتما بنظام اللعبة و قواعدها . ػ

وفي الحديث عن قيمة العلاقة بين العناصر اللغوية فإنّها تشبه إلى حدّ بعيد قيمة قطع "الشطرنج" أين تستمدّ كل قطعة قيمتها من الموقع الذم تحتله على رقعة الشطرنج وذلك في مقابل المواقع التي تحتلها القطع الأخرى، فإذا أخذنا أي عنصر سيكون في حدّ ذاته عنصرا من عناصر اللعبة لا من أجل المادة التي صنع منها لأنّه خارج الموقع أو المربع الذي يحتله في الرقعة لا قيمة له طبقا لنظام اللعبة( وإنما يستمدّ قيمته من الموقع الذمي يشغله ومن علاقته بالقطع الأخرى ومن نظام اللعبة لأنه باستطاعتنا استبداله إذا ما فقد أو تحطّم بأي شيء آخر شريطة أن نعطي لهذا العنصر قيمته داخل اللعبة،وبذلك فإن اللسان يمكنه تأدية وظيفة التبليغ والتخاطب بفضل نظامه الدّاخل .

وبما أن اللسانيات على حدّ رأي دو سوسير جزء من علم جديد وظيفته دراسة العلامات في حضن المجتمع،فإن الأخذ بمفاهيم الدال والمدلول كوجهين للعلامة اللسانية شكل ؿ في حدّ ذاته فرقا بيّنا بين المقاربة اللسانية الجديدة والتقاليد اللغوية القديمة القائمة أساسا على الفلسفة و المنطق و لهذا، غدا الاهتمام باللسانيات عموما وبالدلالة خصوصا حدّا فاصلا لتحديد جوهر العلامة داخل النسق اللساني المتواجدة فيه.